



المسار

سياسية - ثقافية - فكرية - اقتصادية
اجتماعية

الحزب الشيوعي السوري (المكتب السياسي)

العدد (٤٤) - أيلول / سبتمبر ٢٠٢٠



الافتتاحية:

الخط الثالث

ساهم الشيوعيون المصريون في دور أساسي في حركة 23 يوليو/ تموز 1952 من خلال الجناح العسكري لـ «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني- حدتو»، وقد قاد القائمون يوسف صديق الكتبية التي اعتقلت كبار قادة الجيش المصري الموالين للملك فاروق، كما كان الجهاز الفنى في «حدتو» هو الذي يطبع منشورات تنظيم «الضباط الأحرار» بما فيها الوثيقة البرنامجية «أهداف الضباط الأحرار» والتي شارك في كتابتها أعضاء في «حدتو» مثل خالد محي الدين وأحمد فؤاد.

مع السلطة الجديدة التي أيدتها «حدتو»، بخلاف المنظمات الشيوعية الأخرى، حصل الصدام في كانون ثاني 1953 مع تظاهرات عمال كفر الدوار وإعدام العاملين مصطفى خميس ومحمد البكري، وفي أزمة مارس/ آذار 1954 رأت «حدتو» نفسها أقرب إلى حزب الوفد وجماعة «الإخوان المسلمين» واللواء محمد نجيب في المطالبة بعودة التعديلية السياسية الحربية وعودة العسكر للثكنات.

لكن عندما بدأ الرئيس جمال عبد الناصر في الابتعاد عن الغرب والاقتراب من موسكو في عام 1955، رأت «حدتو» نفسها مع عبد الناصر، وفي مرحلة حرب 1956 وما بعدها قادت «حدتو» المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال البريطاني في مدينة بور سعيد. بين عبد الناصر وخصومه، أي «الإخوان المسلمين» والوفديون وشيوخ منظمتي «الراية» و«طليعة العمال»، كانت «حدتو» خطأ ثالثاً يقرّ بوطنية نظام 23 يوليو ولكن يعتبره متصارع الأجنحة بين يمين ويسار وطني - تقدمي وينسب لجمال عبد الناصر قيادة الجناح الأخير.

عندما توحدت «حدتو» مع «الراية» و«طليعة» وشكلت الحزب الشيوعي المصري يوم 8 يناير/ كانون الثاني 1958، انقسمت «حدتو» من جديد عن «حزب 8 يناير» في أيلول 1958 لأنها لم ترد الصدام مع عبد الناصر الذي اصطدم مع الشيوعيين في موسكو ودمشق وبغداد والقاهرة على خلفية صدامه مع سلطة 14 تموز 1958 في بغداد بقيادة عبد الكريم قاسم.

أرادت «حدتو» خطأ ثالثاً: لا صدام، ولكن تأييد مع تمايز عن عبد الناصر الذي اشترط حل الأحزاب في القاهرة ودمشق. لم يميّز عبد الناصر الخط الثالث لـ «حدتو» عندما شن حملة اعتقالات الشيوعيين في القاهرة ودمشق ليلة رأس سنة 1959. في السجن ظل سجناء «حدتو»، بتمايز عن شيوعي «تنظيم 8 يناير»، في خط تأييد عبد الناصر وخاصة مع إجراءات التأميم في يوليو/ تموز 1961، وكانوا خطأ ثالثاً بالقياس إلى شيوعيين أتوا من «الراية» واندمجوا في «8 يناير»، مثل فؤاد مرسى واسmaeil صبرى عبد الله. استمر سجناء «حدتو» في نظرية الأجنحة المتصارعة في سلطة 23 يوليو 1952 ولكن ظلوا على اتفاق مع «8 يناير» في رفض حل الأحزاب.



عندما طرح ميخائيل سوسلوف في شباط 1964 مقولة: «التطور الارأسمالي: تحول سلطة القوى الديموقراطية الثورية للتقرب والاندماج مع الشيوعيين، مثل كوبا كاسترو، لقيادة التحول باتجاه الاشتراكية»، وأفرج عبد الناصر عن السجناء الشيوعيين بمناسبة زيارة خروتشوف للقاهرة في مايو/ أيار 1964، كانت هذه مناسبة لانتصار «حدتو» بين الشيوعيين المصريين خط، ولكن عندما تم حل تنظيمي الشيوعيين المصريين: «حدتو» و«تنظيم 8 بناير» في مارس/ آذار وإبريل/ نيسان 1965 لاندماج أعضائهما في «تنظيم الاتحاد الاشتراكي» كان هذا يعني هزيمة الخط الثالث الذي حملته «حدتو» منذ عام 1955.

في سوريا كان هناك خط ثالث بين المتصارعين: «السلطة» و«الإخوان المسلمين» في أحداث 1979-1982 عبر «الجمع الوطني الديمقراطي» الذي ضم خمسة أحزاب وحركات عربية وماركسيّة، والذي قدم برنامجاً للتغيير الوطني الديمقراطي بعيداً عن السلطة ومواليها في «الجبهة الوطنية التقدمية» وبعيداً عن عنف «الإخوان» و برنامجهم الإسلامي. في العراق لم يكن هناك خط ثالث في فترة 1991-2003 بين صدام حسين وأحمد الجلبي، وفي ليبيا 2011 لم يوجد الخط الثالث بين معمر القذافي ومصطفى عبد الجليل الذي كان مثل جلبي العراق في خط الاستعانة بالخارج من أجل إحداث التغيير الداخلي.

في سوريا بين شهري كانون ثاني 2008 وتموز 2010 بدأت محادثات بين ناصريي «حزب الاتحاد الاشتراكي العربي» وماركسيي «تجمع اليسار الماركسي-تيم» و«الحزب الديمقراطي الاجتماعي» و«حزب البارتي- جناح نصر الدين ابراهيم»، مع شخصيات عربية وكردية مستقلة، من أجل تشكيل «الخط الثالث» كخط يجمع الوطنية والديمقراطية معاً في المعارضة السورية، يكون متمايزاً ومختلفاً عن خط السلطة ومواليها وعن خط «إعلان دمشق» الذي كان مع الاستعانة بالخارج ويطمح لتكرار في المعارضة السورية لتجربة المعارضين العراقيين الذي استجلبووا الخارج الأميركي في عملية إسقاط حكم صدام حسين عام 2003.

كان (تجمع اليسار الماركسي-تيم)، وبضمنه مع أحزاب ماركسيّة أخرى كان حزبنا، هو المبادر مع الأطراف الأخرى المذكورة من أجل تشكيل "الخط الثالث" لم يولد «الخط الثالث» رغم ثلاثين اجتماعاً كان آخرها في مدينة دوما في تموز 2010، ولكن تشكلت مسودة ورقة برنامجه كانت هي البذرة الجنينية لولادة «هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي» في يوم 25 حزيران 2011 بعد ثلاثة أشهر من نشوب الأزمة السورية عقب درعا 18 آذار 2011. لم يعد «الخط الثالث» بين خط السلطة وخط الاستعانة بالخارج فقط بل انضافت له مضمونين جديدين: رفض العنف السلطوي والمعارض، رفض الحل الأمني – العسكري السلطوي والحل الإسقاطي للمعارض للنظام صالح حل تغييري عبر تسوية انقلالية تتشارك على ضوئها السلطة والمعارضة في سلطة انقلالية نحو أوضاع سورية جديدة تتجاوز بنية مرحلة ما بعد 8 آذار 1963 ، التي انفجرت منذ آذار 2011 لتقود إلى أزمة سورية - إقليمية - دولية لا مثيل لقوتها وتأثيراتها بالقياس إلى أزمات العالم بفترة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945.



يمكن القول بأن التجربة السورية هي الوحيدة التي نجح فيها «الخط الثالث» في أن يثبت قوته على الصعيد العربي بين «الحاكم» وبين «المعارض المستعين بالخارج» والذي يكون العنف المعارض والخط الاسقاطي للنظام جزئين من عدة شغله ورؤيته البرنامجية: في لحظات سياسية كان هذا الخط الثالث أو كاد أن يضيع في الزحمة وسط ضجيج خط واشنطن - أنقرة - الدوحة الذي كان يطمح في خريف 2011 إلى تكرار التجربة العراقية وتلك الليبية التي أسقطت القذافي عبر «الناتو» من باب العزيزية في طرابلس الغرب يوم 23 آب 2011.

وفي مؤتمر القاهرة للمعارضة السورية يومي 3-2 تموز 2012 لم يلتق أحد للطرح التسووي الذي قدمته «هيئة التسيير» مستعينة ببيان جنيف 1 الذي صدر قبل يومين عبر توافق أمريكي - روسي. اختلفت الأمور منذ عام 2016 مع هزيمة المعارضة المسلحة في حلب وهزيمتها في الغوطه وحوران ب عام 2018، حيث من الواضح أن المعارضة العسكرية السورية قد هزم خطها هي ومن دعمها من الاسلام السياسي ومن الليبراليين الجدد كما أن خط السلطة التي راهنت على الحل العسكري لم ينتصر، وماقام به حلفاء السلطة من انجازات عسكرية لصالح السلطة لا يمكن ترجمته إلى السياسة.

الآن، سوريا موزعة بمناطق نفوذ ثلاثة: روسية، وتركية في الشمال الغربي وأميركية في شرق الفرات. التسوية ستكون بين المحكمين الدوليين والإقليميين بهذه المناطق الثلاث. لا يوجد منتصر سوريا واحد بين الخطوط السورية الثلاث (خط الحل الأمني - العسكري للسلطة وخط الاستعانتة بالخارج وبالسلاح المعارض من أجل اسقاط السلطة والخط التسووي للمعارض) نجح فقط الخط الثالث في أن يبرز لأن الخط التسووي قد تبنّته القوى الدولية والإقليمية (الولايات المتحدة- روسيا- تركيا) كحل تسووي للأزمة السورية ولكن عندما ترى تلك القوى بأن التسوية قد حان أو انها وفقاً لتلاقي مصالح تلك القوى خط ثالث يرى أولوية التسوية للأزمة السورية ولوأنت عبر غير السوريين ، لأن السوريين قد ضيعوا فرصة التسوية الداخلية عام 2011، ولكن أصحاب الخط الثالث يدركون بأن سوريا ما بعد التسوية أمامها أولوية الأولويات وهي تحرير سوريا من وصاية وهيمنة القوات غير السورية سواء كانت نظامية أو غير نظامية وقواعدها العسكرية إن وجدت مهما كان الطرف السوري الذي عقد معها اتفاقيات تلك القواعد من أجل استعادة القرار السوري الوطني المستقل.

وداعاً عبد المجيد حمو

توفي البارحة في مدينة حلب الأخ عبد المجيد حمو (أبوناصر) عضو اللجنة المركزية في حزب الاتحاد الاشتراكي العربي الديمقراطي في سوريا.

الأخ أبوناصر من وجوه الحركة السياسية السورية المعاشرة وكان له مساهمات في إنشاء تحالفات المعارضة السورية من التجمع الوطني الديمقراطي عام 1979 إلى هيئة التسيير الوطنية عام 2011



وكان بارزاً في المكتب التنفيذي لهيئة التنسيق وفي الوفد المفاوض الذي انبثق عن هيئة المفاوضات للمعارضة السورية في جولات المفاوضات مع وفد الحكومة السورية بين عامي 2016 و2017. وقد عرفته الحياة السياسية السورية المعارضة بوصفه رجل الجسور الواثلة بين وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى المواقف المشتركة.

كان خلوقاً وصادقاً وأميناً وذكياً ومحباً.

ستفتقد الحياة السياسية السورية المعارضة مع وفاة عبد المجيد حمو أحد قاماتها الكبار.

العزاء لأهل الفقيد ولحزب الاتحاد الاشتراكي العربي الديمقراطي.

٩ أيلول 2020

الحزب الشيوعي السوري (المكتب السياسي)

بانوراما الانفجار السوري عام 2011

تعددت الآراء حول تحديد تاريخ الاحتجاجات في سوريا، إلا أن أغلب الواقع يقول أنها بدأت في ١٨ / ٣ / ٢٠١١ بعد اعتقال أمن مدينة درعا خمسة عشر طفلاً بسبب كتابة شعارات ضد النظام وعندما أنشئت صفحة (الثورة السورية) على موقع الفيس بوك من قبل ناشطين سوريين سياسيين مبعدين ومغتربين في دول أوروبا والخليج العربي ومتأثرين بالاحتجاجات الواقعة في تونس ومصر.

لم تكن تلك الاحتجاجات خياراً أمام السوريين وإنما كانت نتيجة طبيعية لترابط أخطاء وسياسات السلطات المتعاقبة على سوريا منذ ١٩٦٣ ولتلغولها أمنياً وسياسياً واجتماعياً خلال تلك العقود وهيمنتها على القسم الأكبر من الاقتصاد السوري وإلى انتشار الفساد وغسيل الأموال وترابط الثروة في أيادي قليلة من رجال السلطة والمقربين منها.

ساهمت كثيراً وسائل التواصل الاجتماعي في إنتاج واقع جديد في سوريا، خاصة بعد الانفجار الواقع في كل من تونس وليبيا ومصر، حيث تم كسر عوامل الخوف في المجتمع السوري عند شريحة واسعة من الشباب، كما ساهمت في توفر المعلومة وإنهاء التعريم المفروض على المجتمع.

انطلقت الحركة الاحتجاجية في سوريا بالوسط الشعبي الريفي أو لاً بسبب تدهور الوضع الاقتصادي المعيشي هناك في السنوات الثلاثة ما قبل ٢٠١١ وسرعان ما امتدت بالمدن والبلدان رافعة شعارات وطنية عامة ومطالب اصلاحية، وقد أشار إلى ذلك الرئيس الأسد وأكد على سلمية الاحتجاجات في خطابة أمام مجلس الشعب بتاريخ ٣/٦/٢٠١٢ عندما قال بأن السلاح المنظم المعارض لم يبدأ إلا بعد رمضان ٢٠١١ أي في بداية أيلول 2011. تصدر الشباب المشهد السياسي خلال فترة الاحتجاجات لجهة



صناعة الخطاب السياسي التحريري المطالب بالحرية والكرامة والعدالة والمشاركة السياسية، فاتسعت رقعة الاحتجاجات واندلعت المظاهرات في أغلب المدن والبلدات المنتقضة من ريف دمشق وحمص وحماة واللاذقية ودير الزور وإدلب وريف حلب إلا أنه غالب على طابعها العام العفوية واللامركزية. لم تكن بروز ظاهرة التنسيقيات في المدن والبلدات المحتلة إلا بداعي الحاجة إلى نوع من التنظيم عند الشباب المتصدرين لها وقد عمل في هذا التوجه بعض السياسيين والحزبيين المنخرطين في الاحتجاجات.

مع تصاعد عمليات العنف المنظم من السلطة في مواجهة الاحتجاجات وتزايد المخاطر الناجمة عن القمع برزت أيضا الحاجة إلى تشكيل شخصية اعتبارية لتلك التنسيقيات الموزعة في المدن والبلدات والأحياء لتشكيل كيان واحد لها بحيث يتم من خلالها التنسيق لمختلف الأمور الميدانية والسياسية والاعلامية فتم الاعلان عن تأسيس (اتحاد التنسيقيات) في شهر أيار من عام ٢٠١١ وكانت الغاية من تأسيس هذا الاتحاد نقل الحراك من العفوية إلى مرحلة أكثر تنظيماً ومع ذلك بقي الحراك يفتقر على القراءة على الانضباط الأمر الذي أدى إلى الاعلان عن توحد تلك التنسيقيات تحت اسم (الهيئة العامة للثورة السورية) بتاريخ ١٨ آب ٢٠١١ لتكون واجهة سياسية ميدانية وإعلامية لتلك التنسيقيات ومع ذلك لم تنجح في تأسيس كيان سياسي متماشٍ وبقيت وجهات النظر المتباعدة تطفو على السطح بين التنسيقيات المنتشرة في المحافظات والمدن والبلدات حول عدة مسائل جوهريّة وفي مقدمتها موضوع التدخل الخارجي وتشكيل الجيش الحر وتحديد نوع الشعارات أيام الاحتجاجات عند كل حدث.

أجهدت أحزاب المعارضة التقليدية -التاريخية وبمختلف أطيافها، نفسها في استيعاب ما يحدث على الأرض وحاولت تلمس طريقها للوصول والتنسيق مع نشطاء الحراك ورموزه لتأخذ دورها فيه إلا أنه وبسبب الموقف السلبي من بعض قادة ونشطاء الحراك، وبسبب عدم مقدرتها على التعامل والتنسيق السليم مع تلك الرموز، وأيضاً بسبب محاولة تلك الأحزاب ان تأخذ دور الأستاذة والعراب لهم، لم يكن ممكناً التلاقي بين الطرفين في شكل تنظيمي موحد.

شكلت الأشهر الأخيرة من عام ٢٠١١ ومن عمر الانفجار السوري ولادة أكثر من كيان وتجمع سياسي للقوى والمعارضات السياسية التاريخية في سوريا ، في ١٧ أيلول ٢٠١١ عقدت هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي مؤتمرها في بلدة حلبون بريف دمشق ولتألف من عدد من الأحزاب والحركات السياسية الداخلية ، العربية والقومية والماركسيّة والكردية وشخصيات ديمقراطية ودينية ، وكان تأسيسها استجابة موضوعية لما يحدث في سوريا وملاءمة لموافقها السياسية في مطالعها بالتغيير الوطني الديمقراطي السلمي ، كما حددت هيئة التنسيق الوطنية موقفها السياسي من الانفجار الواقع من خلال لاءاتها الثلاث وعبر مؤتمر تأسيسها في حلبون ، لا للطائفية ، ولا للتدخل الخارجي ، ولا لحمل السلاح ، كما راهنت مع بدء الحراك على حل سياسي عبر الحوار مع النظام لنقل سوريا من الاستبداد والفساد إلى التغيير الديمقراطي وإطلاق المعتقلين السياسيين ووقف العنف مع المحتجين والمتظاهرين . كان الحزب الشيوعي السوري (المكتب السياسي) هو الطرف الوحيد في الاجتماع التأسيسي لهيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي بيوم ٢٥ حزيران ٢٠١١ الذي طرح فكرة



التسوية للأزمة السورية بحكم أن هناك استعصاء سوري في التوازن بين السلطة والحركة المعارض يمنع انتصار أحدهما على الآخر، وهو ماتبنته هيئة التنسيق في مؤتمر حلبون يوم 17 أيلول 2011.

أما المجلس الوطني السوري فقد أعلن عن تأسيسه في إسطنبول بتاريخ ٢٠١١/٩/٢ من أحزاب ومجموعات لغير اليمين ومن مجموعة إعلان دمشق ومن الأخوان المسلمين الذين شكلوا الكتلة الأكبر في المجلس والوزن الأكبر تأثيراً في رسم سياساته، وعرف هذا التكوين بالمعارضة الخارجية.

خلال الأشهر الأخيرة من عام ٢٠١١ ازدادت المطالبات الداخلية والضغوطات الخارجية على جميع أطياف المعارضة الداخلية والخارجية لتوحيد نفسها في كيان واحد لمواجهة عنف النظام وملaque استحقاق التغيير في سوريا، فالتقت المعارضة الداخلية وفي مقدمتها هيئة التنسيق الوطنية مع ممثلي المجلس الوطني السوري في القاهرة ونتج عن ذلك وثيقة القاهرة في ٣٠ كانون أول ٢٠١١ إلا أنه سرعان ما تتصل منها المجلس الوطني.

حدد المجلس الوطني ملامح سياساته وموافقه من الأزمة السورية _ باستدعاء الخارج وطلب إنشاء مناطق حظر للطيران وتشجيع العملسلح واسقاط النظام ورفض أية عملية سياسية معه لا تؤدي إلى إزاحة رأس النظام

مع اتساع حملة الاعتقالات في صفوف الناشطين القياديين للاحتجاجات ومع ورفض النظام تقديم أي تنازل تجاه المطالب الإصلاحية ، سادت في صفوف المتظاهرين انفلات إيقاع الاحتجاجات السلمية وهيمنة مناخ تشتاؤمي في أوساط الشباب المحتجة في جدو الاحتجاجات السلمية واستمرارها ، ومع تغول النظام في استخدام حل الأمني وقد طال عنف النظام كل من رفض تنفيذ الأوامر بإطلاق النار على المتظاهرين من الجنود والضباط فساهم ذلك في بروز ظاهرة الانشقاقات داخل المؤسسة الأمنية والعسكرية ، والسياسية والدبلوماسية ، الفردية والجماعية التي وصلت إلى رئيس مجلس الوزراء (رياض حجاب) الذي أعلن من العاصمة الأردنية انشقاقه عن النظام في ٦ آب لعام ٢٠١٢

بدأت تظهر على السطح تشكيلاً مسلحة من الضباط والمجندين المنشقين وأعلنوا في ٢٩/٧/٢٠١١ عن تأسيس ما سمي (الجيش الحر) بقيادة العقيد رياض الأسعد، فادي ذلك إلى إرباك سياسي بين صفوف المتظاهرين المسلمين بين مؤيد ومعارض. أعلن هذا التنظيم المسلح في البداية أن مهمته حماية المتظاهرين إلا أن هذه الظاهرة تطورت فيما بعد إلى الإغارة على مواقع عسكرية ، ومع بداية عام ٢٠١٢ ومع تنامي ظاهرة العسكرية والتسلیح ومع دخول أطراف إقليمية ودولية على خط هذه الظاهرة تحولت الأزمة السورية من صراع سياسي داخلي بين نظام و المعارضة تطالب بحقوق سياسية وحقوق ديمقراطية واجتماعية إلى صراع مصالح دولية وإقليمية في سوريا وإلى محاولة لرسم خارطة جيوسياسية جديدة في المنطقة وأصبح معظم أطراف الائتلاف الوطني (ورث المجلس الوطني عبر تأسيسه في ١١ تشرين الثاني ٢٠١٢) بما فيه الجيش الحر رهينة لتجهيزات ومصالح القوى الفاعلة في هذا الصراع .



مع ازدياد وتيرة الاحتجاجات وتعقد الأزمة الداخلية أكثر، تقدمت جامعة الدول العربية بتاريخ ٢٣ شرين الثاني ٢٠١١ بمبادرتها حيث أمهلت فيها النظام السوري ثلاثة أيام للقبول بإرسال مراقبين عرب لتقسي الحقائق والأحداث الجارية في سوريا وقد وافق النظام بعد المماطلة على دخول المراقبين العرب وقدموا تقاريرهم بعد انتهاء عملهم ، وفي ٢٣ كانون الثاني من عام ٢٠١٢ طرحت الجامعة العربية مبادرتها بالإجماع و تقضي بأن تبدأ المعارضة السورية حوارا مع النظام لتشكيل حكومة انتقالية ثم يسلم الرئيس الأسد كامل صلاحياته إلى نائبه إلا ان النظام رفضها فتم تجميد عضوية الحكومة السورية في جامعة الدول العربية، وعلى إثر ذلك حولت جامعة الدول العربية الملف السوري إلى مجلس الأمن في ٤ شباط ٢٠١٢ عندما تم استخدام الفيتو الروسي ضد مشروع المبادرة العربية.

شكل انفجار مبني الأمن القومي في ١٨ تموز من عام ٢٠١٢ حدثاً مفصلياً في مسار الحراك السوري. حسم هذا الحدث جدلاً كان في بنية السلطة بين من يريد المضي في الحل السياسي أو الأمني وأصبح الرأي المسيطر في السلطة هو الدفع أكثر في إشراك الجيش والقوات المسلحة بعمليات قمع المتظاهرين والتصدي لمجموعات الجيش الحر في المدن والبلدات التي أصبحت تحت سيطرتهم فتم استخدام أحدث الأسلحة من مدفعية وصواريخ وبراميل متفجرة وطيران وأسلحة محرمة دولياً.

قبل انفجار مبني الأمن القومي بدمشق كان قد صدر بيان جنيف ١ بتاريخ ٣٠/٦/٢٠١٢ على إثر اجتماع عقد في جنيف لمجموعة العمل الدولية وأبرز ما جاء فيه تأكيده على أهمية المرحلة الانتقالية وإطار حل الأزمة السورية وأن تتضمن هيئة حكم انتقالي بسلطات تنفيذية كاملة تكون من المعارضة والنظام وأن يتم تشكيلها على أساس من القبول المتبادل من الطرفين وعلى أن يتم مراجعة النظام الدستوري والقانوني في سوريا وعلى أن المفاوضات يجب أن يشارك فيها كافة السوريين وأنه يجب أن تكون التسوية قابلة للتحقق في مناخ من الأمن والهدوء والاستقرار للجميع وعلى ضرورة إجراء انتخابات حرة ونزيهة ومتعددة الخ.

لم يحسم بيان جنيف ١ موضوع الرئاسة أو مستقبل الرئيس الأسد خلال المرحلة الانتقالية ولا بعدها وبقي الخلاف قائما حول تلك المسألة بين الروس والأمريكان حيث خرج كل من وزير الخارجية الأمريكي ووزير الخارجية الروسي ليقدم كل منهما تصريحات متضاربة حول مستقبل الرئيس السوري في العملية السياسية.

كان ظهور داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام- داعش) في العراق وسوريا بتاريخ ٩ نيسان ٢٠١٣ إلى ٢٠١٧ الحدث الأهم في تاريخ الأزمة السورية وفي المنطقة حيث أعتبر هذا التنظيم المسلح من أخطر التنظيمات الإسلامية المتطرفة باعتباره كان يتبع فكر الجماعات الإسلامية الجهادية ويهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية وانتشر بسرعة بالعراق (الموصل والأنبار وكركوك وصلاح الدين ونينوى) ثم امتد في أغلب المناطق الشرقية من سوريا وجعل من مدينة الرقة عاصمة له فادرج التنظيم كمنظمة إرهابية لدى الأمم المتحدة (القرار ٢١٧٠ في ١٥ آب ٢٠١٤) والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي .



طرح داعش مفهوم له، الهوية السنوية مقابل الهوية الشيعية والكردية، ثم انتقل إلى الفضاء العسكري وتشكيل جماعات (مليشيات مسلحة) واعتمد مفاهيم jihad وفقه التوحش والدماء واستطاع أن يبني دولته في العراق وسوريا وقد استقبل الأهالي في تلك المناطق في أول الأمر تلك الحركة بالترحاب ليس إيماناً بها ولا برسالتها وإنما شماتة بالأنظمة في كل من العراق وسوريا كما استطاع أن يستقطب آلاف المقاتلين بالداخل والخارج بفضل ملايين الدولارات الموجودة في خزائنه. أصبحت تلك الحركة الجهادية العدو الأول إقليمياً ودولياً بسبب امتداد عملياتها الجهادية إلى وسط أوروبا وأمريكا فشكلت الولايات المتحدة الأمريكية تحالفاً دولياً ضد داعش يضم أكثر من ٦٠ دولة فتراجع عن الأزمة السورية من سلم اهتمامات المجتمع الإقليمي والدولي إلى المرتبة الثالثة أو الرابعة وأصبح الهدف الأول عندهم محاربة إرهاب الدولة الإسلامية في العراق والشام والقضاء عليها وتأمين ما يسمى استقرار المنطقة ودولها، وأصبح هذا التحالف يتعامل سياسياً وأمنياً مع الدول والجماعات التي تملك امكانية محاربة داعش ومنع انتشاره.

في ١٨/١٥/٢٠١٢ تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمسودة قرار لمجلس الأمن تمت الموافقة عليه بالإجماع وصدر القرار الدولي الخاص بسوريا تحت رقم ٢٢٥٤ مؤكداً على ضرورة قيام جميع أطراف الأزمة السورية بتدابير بناء الثقة بين الأطراف المتنازعة للمساهمة في جدو العمليات السياسية ووقف إطلاق النار الدائم ويعرب القرار عن دعمه لعملية بقيادة سوريا تيسراً لها الأمم المتحدة وتقديم حكماً ذا مصداقية يشمل الجميع ولا يقوم على الطائفية ، كما حدد القرار جدوًّا زمنياً للحكم والعملية السياسية وصياغة دستور جديد ويدعوا إلى إطلاق سراح أي شخص محتجز بشكل تعسفي كما يدعوه المجموعة الدولية لدعم نفوذها فوراً لتحقيق هذه الغايات وإلى التنفيذ الكامل للقرارات الدولية الصادرة ذات الشأن بالمسألة السورية وإلى التوقف الفوري للهجمات ضد المدنيين وعلى أهداف مدنية وإلى منع أي استخدام ضد المراافق الطبية وأي استخدام عشوائي للأسلحة وإلى بناء الظروف للعودة الآمنة والطوعية للاجئين والمشردين داخلياً وإلى إعادة التأهيل للمناطق المتضررة .

شكل لقاء وزير الخارجية الأمريكية جون كيري آنذاك مع الرئيس الروسي بوتين بتاريخ ١٥/١١/٢٠١٥ الأساس الذي بني عليه نص القرار الدولي ٢٢٥٤ بصيغته التوافقية ، كما كان أساساً بالنسبة للعلاقات الثانية بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في كل ما يتعلق على الأقل بالأزمة السورية لذلك جاء القرار غامضاً ومربكًا في المواضيع التي لم يتم الاتفاق عليها وتحديداً فيما يتعلق بمستقبل الرئيس الأسد السياسي رغم إشارته إلى "السعى إلى كفالة التنفيذ الكامل لبيان جنيف كأساس لانتقال سياسي بقيادة سوريا" ، ومع هذا فإن القرار الدولي ٢٢٥٤ لعام ٢٠١٥ يحتوي على نصوص مهمة يبني عليها المسار التفاوضي الذي على ما يبدو هو المسار الإجباري حتى الآن الذي قد يؤدي إلى حل سياسي .

بفعل الضغوط الدولية على المعارضة والنظام، استمرت العملية التفاوضية في جنيف (منذ يوم 29 كانون ثاني 2016) رغم تعثرها وفقاً للسلال الأربع (سلة المرحلة الانتقالية وتشكيل هيئة حكم انتقالية



وسلة صياغة دستور جديد او اصلاح دستوري وسلة الانتخابات وسلة الارهاب) التي حددتها المبعوث الدولي استيفان دي مستورا.

فور صدور القرار الدولي ٢٢٥٤ المنوه عنه صرح الأمين العام للأمم المتحدة، أن وفود الحكومة السورية والمعارضة السورية على استعداد لاستئناف محادثات سورية – سورية بوساطة المبعوث الخاص ستيفان دي مستورا وذلك على النحو المبين في بيان جنيف ١ وعلى التنفيذ الفوري لتدابير بناء الثقة وعلى التنفيذ الكامل للقرار الدولي ٢٢٥٤ ، كما صرحت نبيل العربي الأمين العام لجامعة الدول العربية إن تبني مجلس الأمن للقرار الدولي ٢٢٥٤ بالإجماع بشأن سورية قد منح المجال وللمرة الاولى بان يكون هناك فرصة لمعالجة جدية للازمة السورية على أساس مرجعية بيان جنيف وبيانات فيينا الصادرة عن المجموعة الدولية الخاصة بسوريا(تشرين أول وتشرين ثاني ٢٠١٥).

لم تكن مسائل الخلاف المذكورة (مستقبل الرئيس السوري و موضوع المرحلة الانتقالية وتشكيل هيئة حكم انتقالي) هي الوحيدة خلال المفاوضات الجارية في جنيف وإنما أضاف النظام إليها أيضا موضوع عدم وحدة المعارضة وعدم صلاحية وفد المعارضة المفاوض الموجود في جنيف والمعروف بوفد (رياض ١) او وفد الهيئة العليا للمفاوضات المشكلة في مؤتمر الرياض في تاريخ ٨-١٠ كانون أول ٢٠١٥ هو الممثل لجميع اطراف المعارضة السورية ، هذا وقد فرضت تلك الخلافات نفسها على مجرى المفاوضات في جنيف بجولاتها التسع وكانت من الأسباب الجوهرية التي أنهت الهيئة العامة للمفاوضات برئاسة رياض حجاب وتشكيل هيئة التفاوض (رياض ٢) برئاسة نصر الحريري وإشراك منصتي القاهرة وموسكو بها في تشرين الثاني من عام ٢٠١٧ واستبعاد أي شرط مسبق في المفاوضات.

بذل مبعوثي الأمم المتحدة بالأزمة السورية ابتداءً بالسيد كوفي عنان ومروراً بالأخص بالإبراهيمي وانتهاءً بالسيد ستيفان دي مستورا جهودهم الحثيثة للوصول إلى حل سياسي وفق القرارات الدولية ذات الصلة بالأزمة الدولية و رغم كل الدعم المقدم لهم من المؤسسة الدولية إلا أنهم فشلوا في مهمتهم بسبب عدم وجود الرغبة لدى الفاعلين الدوليين والإقليميين للوصول إلى حل سياسي ينهي الصراع القائم ، هذا ولايزال المبعوث الدولي الحالي غير قادر على تحقيق أي اختراق في الحل السياسي باستثناء عقده اجتماعيين فاشلين بجنيف في سلة اللجنة الدستورية في نهاية عام ٢٠١٩ ثم اجتماع أكثر نجاحاً في آب ٢٠٢٠.

لم يكن التوافق الأمريكي _ الروسي حول القرار الدولي ٢٢٥٤ لعام ٢٠١٥ الخاص بالأزمة السورية هو التوافق الأول ولن يكون الاخير ، فقد سبقه توافقاً صدر بموجبه بيان جنيف ١ لعام ٢٠١٢ الذي كان الأساس لحل سياسي تفاوضي بالأزمة السورية، كما سبقه توافق معلن في جنيف في تاريخ ١٤ / ٩ / ٢٠١٣ وضع حدأً لضربة أمريكية على سورية بعد استخدام السلاح الكيماوي في ٢٠ آب ٢٠١٣ ضد مناطق سيطرة المعارضة المسلحة بالغوطة ووضع آلية للتخلص من الأسلحة الكيماوية في سورية وأدى أيضاً إلى اعتراف سورية وانضمامها إلى اتفاقية حظر الأسلحة الكيماوية.



في مسار الأزمة السورية لم تكن السياسة الأمريكية فيها ثابته ولا مستقرة وهذا على خلاف السياسة الروسية التي كانت داعمة دبلوماسياً وعسكرياً للنظام منذ بداية الأزمة، فالإدارة الأمريكية برئاسة أوباما نأت بنفسها من بداية الأزمة السورية عن التدخل العسكري فيها وكان مسؤولي الإدارة يصرحون باستمرار أن لا حل عسكري للأزمة السورية وأن الحل السياسي هو الحل الوحيد.

إلا أنها ومع اتساع رقعة الاحتجاجات ومع إصرار النظام على حله الأمني - العسكري وتغوله في قمع الاحتجاجات حددت موقفاً مؤيداً لحرك الشعب السوري ودعمت الجيش الحر بالمال ووضعت برنامجاً زمنياً لتدريب عناصره المسلحة وسلحه بأسلحة دفاعية متوسطة وطالبت بتحفيز الرئيس عن السلطة، ولكن مع تنامي ظاهرة العسكرية وأسلمة الحراك الشعبي وهيمنة الجماعات الجهادية على ساحة الصراع في الأزمة السورية ومع فشل تجربتي الحركات الإسلامية في ليبيا في إدارة الدولة وبعد الهجوم الإرهابي على السفارة الأمريكية في ليبيا ومقتل السفير الأمريكي فيها في ١١ أيلول ٢٠١٢، ومع تزايد حدة خلافاتها مع الحكومة التركية التي تدعم الحركات الإسلامية كل هذه العوامل مجتمعة دفعت الإدارة الأمريكية إلى تغيير سياساتها الداعمة للائتلاف وللجيش الحر فأوقفت تقديم السلاح والتدريب له وبدأت تسعى بالتنسيق مع روسيا لإنجاح حل سياسي بالأزمة السورية وفق بيان جنيف ١ والقرار الدولي ٢٣٥٤ لعام ٢٠١٥ من جهة، ومن جهة أخرى بدأت بإرسال قواتها إلى سوريا منذ يوم ٣٠ أيلول ٢٠١٥ مبررة ذلك لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق واحتواء التمدد الإيراني في المنطقة، وكانت أولى ضرباتها الجوية على داعش في ٩/٢٠١٤/٢٣ وخلال مدة قصيرة توسيع التدخل في سوريا حتى وصل عدد القواعد العسكرية الأمريكية فيها إلى عشرة قاعدة حسب وكالة سبوتنيك الروسية وأغلبها موجودة في مناطق البترول والغاز، هذا ورغم التصريحات المتكررة للرئيس الأمريكي ترمب بسحب القوات الأمريكية من سوريا فإن هذا الوجود الأمريكي يعد حالياً محاولاً في جزء منه وغير المعلن بالنفط وهو أمر نجد تبريره في الصلات التي تربط إدارة ترمب بشركات النفط الأمريكية.

كان للتدخل الروسي العسكري - الجوي المباشر في ٣٠ أيلول من عام ٢٠١٥ الأثر الفعال في وقف الانهيارات المتضارعة في الوضع العسكري للنظام، كما أدى إلى وقف التقدم الذي احرزته التنظيمات الإسلامية المسلحة عند أطراف مدينة دمشق وفي العديد من المدن السورية مثل ادلب وحلب واللاذقية، وحاول الروس بعد تدخلهم العسكري المباشر في سوريا ونجاتهم بمساعدة قوات وميليشيات ايرانية وعراقية في أحداث تغيرات جوهيرية على الأرض لصالح النظام أن يدخلوا إلى العملية السياسية من خلال الالتفاف على مسار جنيف السياسي عبر المؤتمرات العديدة في أستانة التي بدأت في ٣٠ كانون الثاني لعام ٢٠١٧ مع الجناح العسكري (الجيش الحر) حيث ترعم الوفد آنذاك محمد علوش ثم العميد احمد البري، حيث انحصرت المفاوضات في لقاءات الأستانة في القضايا العسكرية والانسانية ورفض الوفد العسكري للمعارضة الدخول في أي مسار سياسي كما طرح الروس خلال الاجتماعات مسودة دستور جديد لسوريا فلم يلق اي قبول من الوفد العسكري وكانت أهم المسائل التي اتفقوا عليها محاربة تنظيم الدولة الإسلامية ووحدة الأرضي السورية ووقف إطلاق النار وتحديد مناطق خفض التوتر في محافظات ادلب واللاذقية وحلب ومناطق من حماة وحمص . كما حاول الروس عبر محادثات فيينا في ٢٥/١٢٠١٨ الضغط على هيئة التفاوض لرياض ٢ لحضور مؤتمر سوتشي (٣٠-٢٩ كانون



ثاني 2018) الذي دعوا إليه بقصد وضع دستور جديد لسوريا إلا أنهم لم ينجحوا بسبب تخوف هيئة التفاوض في أن يكون مؤتمر سوتشي بدلاً عن مسار جنيف.

لم يأتي التدخل الروسي المباشر بالأزمة السورية من خلال مغامرة غير مدروسة وإنما أتى عبر صفة مع الامريكان والغرب وليس فقط لإنقاذ النظام من السقوط وإنهاء الأزمة في سوريا وتحقيق الاستقرار فيها وفي المنطقة واحتواء المد الإيراني في كل من سورية ولبنان والعراق بعد أن قررت الإدارة الأمريكية آنذاك الانسحاب من المنطقة، وإنما كان أيضاً ضمن حسابات استراتيجية أوسع لدى القادة الروس ، فقد كان فرصة أمامهم لتوكيد دور روسيا على المستوى الدولي وفي الشرق الأوسط خصوصاً وأيضاً في إطار تحقق حلم الروس بالوصول للمياه الدافئة. والسؤال المطروح الآن في أواسط عديدة، هل تستطيع روسيا تحقيق تغيير سياسي وفقاً للقرارات الدولية ذات الصلة بسوريا في ظل تواجد ايراني واسع عسكري اقتصادي واجتماعي وثقافي فيها، ورفض لأي تغيير؟

القصوة غير المبررة لعقوبات ترامب على سوريا الجديدة جوشوا لانديس وستيفن سيمون

موقع فورين أفيرز
17 آب 2020

في كانون الأول (ديسمبر) الماضي، تبنى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عقوبات جديدة شديدة الصرامة وواسعة النطاق ضد الحكومة السورية وداعميها. يخضع الرئيس السوري بشار الأسد ومسؤولون كبار آخرون للعقوبات الأمريكية منذ عام 2011، لكن الإجراءات الجديدة، التي دخلت حيز التنفيذ في منتصف حزيران (يونيو)، كاسحة: فهي تتطبق على أي شخص، سوري أو غير سوري، يساعد أو يفعل التعامل مع نظام الأسد أو مع أي كيانات يسيطر عليها.

حازت السياسة على الثناء في بعض الأوساط - مقارنة بالعديد من الإجراءات في الشرق الأوسط في عهد ترامب، فهي على الأقل متماسكة. لكنها فشلت في دفع أي مصالح أمريكية أساسية. علاوة على ذلك، فإنه يزيد من إفقار الشعب السوري، ويمنع جهود إعادة الاعمار، ويخنق الاقتصاد الذي يدعم السكان اليائسين خلال الأزمات الإنسانية والصحية العامة المتزايدة في سوريا. وفقاً للممثل الأمريكي الخاص لسوريا جيمس جيفري، فإن أهداف سياسة الأرض المحروقة هذه هي تحويل سوريا إلى "مستنقع" لروسيا واكتساب نفوذ كافٍ لإعادة تشكيل الحكومة السورية على غرار الخطوط التي فرضتها الولايات المتحدة على اليابان بعد الحرب العالمية الثانية. أكد جيفري أن الولايات المتحدة تسعى إلى "تحول جزري" في سلوك النظام السوري: من الناحية النظرية، فإن إفلات الحكومة السورية بشكل منهجي قد يجبر الأسد على الامتثال لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254، الذي يتطلب إصلاحاً سياسياً سورياً.



لزيادة الضغط ، أيدت الولايات المتحدة الضربات الإسرائيلية ضد الأراضي السورية ومصادره تركياً لموارد الطاقة السورية. كما أغلقت الطريق السريع الرئيسي المؤدي إلى بغداد لخنق التجارة. سياسة الولايات المتحدة والانتفاضة السورية في عام 2011 ، شرع الرئيس الأمريكي باراك أوباما والزعماء الأوروبيون في حملة صليبية لإجبار الأسد على التنازل عن السلطة.

لقد افترضوا أن حكومة بديلة فاضلة كانت تنتظر في الأجنحة - لكن شخصيات المعارضة السورية المتعلمة في الغرب والتي عملت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على ترسيخها لم يكن لها أي تأثير على الأرض ، ومحاولات بقيادة الولايات المتحدة لتوحيد السوريين. فشلت المعارضة. في عام 2012 ، أُحصت وكالة المخابرات المركزية أكثر من 1500 ميليشيا معارضة في سوريا. بحلول الوقت الذي تدخلت فيه روسيا في عام 2015 ، بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون في الخوف من أن هذه الجماعات قد فقدت السيطرة على الجهد العسكري ضد الأسد لصالح الجماعات الإسلامية المتطرفة ، مثل الدولة الإسلامية (أو داعش) والقاعدة.

تفترض حملة العقوبات الجديدة في واشنطن أن المستقע الذي تخلفه الولايات المتحدة سيبتلي روسيا بطريقه ما. بالنسبة لمؤيدي هذه السياسة - خاصة أولئك الذين بلغوا سن الرشد في حقبة فيتنام - فإن مصطلح "المستقع" هو مصطلح شديد الصدى ، يشير إلى الحرب التي قتلت 58000 أمريكي ، ومزقت المصداقية الأمريكية ، وأضعفت نسيج المجتمع الأمريكي. لكن مجرد تكرار هذا المصطلح التعويضي لن يحول المستقع التاريخي للولايات المتحدة إلى روسيا.

الحفاظ على الأسد هو أعظم نجاح في السياسة الخارجية للرئيس الروسي فلاديمير بوتين منذ ضم شبه جزيرة القرم ، ويمكن لروسيا أن تبني الرجل السوري القوي وافقاً على قدميه دون أن تدفع جزءاً بسيطاً من الثمن الرهيب الذي دفعته الولايات المتحدة في فيتنام. علاوة على ذلك ، ليس لدى الولايات المتحدة ما تكسبه من خلق مستقع لروسيا. القيام بذلك لن يحسن موقعها الاستراتيجي في المنطقة ، أو ينقذ أرواح السوريين ، أو يقلل من التهديد الذي تشكله روسيا على الديمقراطية الأمريكية. بعد الحفاظ على الأسد أعظم نجاح لبوتني في السياسة الخارجية منذ ضم شبه جزيرة القرم. في العالم الحقيقي ، "المستقع" هو ببساطة مصطلح مضلل لدولة فاشلة.

والدول الفاشلة ترك سكانها عرضة للجوع والمرض والفقر وأمراء الحرب المفترسين. تتجاهل إدارة ترامب هذه الحقيقة المروعة بالإصرار على نجاح العقوبات. ومع ذلك ، هناك القليل من الأدلة على أن العقوبات الاقتصادية تحقق أهدافها. حتى العقوبات الأفضل تصميماً يمكن أن تكون هزيمة ذاتية ، وتقوية الأنظمة التي صمم لإيذاء ومعاقبة المجتمعات التي كان من المفترض أن تحميها. إن تدمير الطبقة الوسطى في العراق في التسعينيات هو مثال على ذلك: فقد قتلت العقوبات الأمريكية مئات الآلاف من العراقيين. كان تأثيرها جنسانياً ، ومعاقبة النساء والأطفال بشكل غير متناسب.

إن الفكرة القائلة بأن العقوبات تنجح هي وهم لا يرحم. الحقيقة هي أن أصحاب الأسلحة يأكلون أولاً، والتنافس مع الأسد على من يمكنه إيذاء الفلاحين السوريين أكثر هو لعبة خاسرة لواشنطن. منطق



العقوبات صممت إدارة ترامب العقوبات التي فرضتها الآن على سوريا لجعل إعادة الإعمار مستحيلة. تستهدف العقوبات قطاعات البناء والكهرباء والنفط ، وهي ضرورية لإعادة سوريا إلى قدميها. على الرغم من أن الولايات المتحدة تقول إنها "تحمي" حقول النفط السورية في الشمال الشرقي ، إلا أنها لم تمنح الحكومة السورية إمكانية الوصول لإصلاحها ، كما أن العقوبات الأمريكية تمنع أي شركة من أي جنسية من إصلاحها - ما لم ترغب الإدارة في استثناء . تم إجراء مثل هذا الاستثناء مؤخرًا الشركة الأمريكية لإدارة حقول النفط ، لكن تسرب النفط يستمر في التصريف في نهري الخابور والفرات. لا تعاقب العقوبات الأمريكية الأشخاص الذين يحصلون على الكهرباء لساعة أو ساعتين فقط في اليوم ، ولكنها تسمم بيئتهم أيضًا.

بل إن العقوبات تمنع منظمات الإغاثة غير الأمريكية من تقديم مساعدات إعادة الإعمار. الاستثناءات الإنسانية غامضة بشكل متعمد ، وكذلك المتطلبات التي يتبعها على الحكومة السورية الوفاء بها من أجل تخفيف العقوبات. ويهدف عدم اليقين هذا إلى ردع موردي المساعدات والمستثمرين الذين قد يساعدون سوريا على إعادة الإعمار ولكنهم لا يستطيعون أن يكونوا واثقين تماماً من أنهم على استعداد للقيام بذلك. هذا التأثير المروع ، المعروف باسم الامتثال المفرط ، هو استجابة عقلانية للخوف من التورط غير المقصود في قضايا قانونية معقدة يمكن أن تدمر منظمة غير حكومية أو شركة. يواجه السوريون ، المحظوظين من إعادة بناء بلدتهم والسعى للحصول على مساعدات خارجية ، "جماعة جماعية أو نزوح جماعي آخر" ، وفقاً لبرنامج الغذاء العالمي.

في عام 2011 ، بلغ معدل الفقر المدقع في سوريا أقل من 1٪. لكن بحلول عام 2015 ، ارتفع معدل الفقر المدقع إلى 35 في المائة من السكان. في أواخر ربيع عام 2020 ، اقترب لبنان من الإفلاس ، وبدأ الاقتصاد السوري ، الذي تربطه علاقات عميقة وطويلة الأمد بالاقتصاد اللبناني ، بالخروج عن السيطرة. ارتفعت أسعار المواد الغذائية بنسبة 209 في المائة العام الماضي ، والأدوية باهظة الثمن ونادرة. ارتفع عدد السوريين الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي من 7.9 مليون إلى 9.3 مليون في ستة أشهر فقط ، وفقاً لبرنامج الغذاء العالمي.

لا تعاقب العقوبات الأمريكية الناس فحسب ، بل تسمم بيئتهم أيضاً. إن جلب المساعدات الإنسانية ومساعدات إعادة الإعمار إلى سوريا سوف يشمل بالضرورة حكومة البلاد ، التي تشتهر بالفساد. لكن المملكة العربية السعودية فاسدة أيضاً: لا يمكن لأحد القيام بأعمال تجارية هناك دون دفع ضريبة غير رسمية لأفراد العائلة المالكة. يجب على أولئك الذين يتعاملون مع حكومات هذه المنطقة والذين يسعون لمساعدتها على تجنب الانهيار أن يفهموا فساد النظام باعتباره تكلفة إضافية مؤسفة ولكن لا يمكن تجنبها. تشارك جماعات المعارضة أيضاً في ثقافة الفساد: دعا روبرت فورد ، سفير الولايات المتحدة السابق في سوريا ، دون جدوى مع ميليشيات المعارضة الرئيسية في البلاد لإعادة المواد التي نهبتها من مستودعات الفصائل التي تدعمها الولايات المتحدة. قامت الميليشيات المدعومة من الولايات المتحدة حول حلب بدورها بنهب أكثر من 1000 مصنع ، وجرت هم إلى أساساتهم الأسمانية.



وبالتالي ، فإن إيصال المساعدات سوف يستلزم عمليات تبادل متكررة بين مقدمي الخدمات المخصصين لتوجيهه القيمة الكاملة للمساعدة إلى المستفيدين المقصودين وحكومة مصممة على توجيهها نحو مؤيديها. ستكون هذه العملية مرهقة ومخيبة للأمال لكلا الجانبين. لكن المساعدات سوف تمر. لماذا من غير المرجح أن تعمل العقوبات على الرغم من أن جيفري قال إن الولايات المتحدة لم تعد تسعى لتغيير النظام في سوريا ، إلا أن العديد من المدافعين عن العقوبات داخل إدارة ترامب ما زالوا يأملون في ذلك بالضبط. وهم يقولون إن آلام السوريين العاديين اليوم ستؤدي ثمارها ، لأن رحيل الأسد سيؤدي إلى مستقبل خالٍ من القمع والخوف. يقول خصومهم إن تغيير النظام من المرجح أن يطلق العنان لجولة ثانية من الحرب الأهلية بعد انهيار الدولة وأن سوريا يمكن أن تغرق في الفوضى لعقد آخر.

تكمن مشكلة المدافعين عن هذه العقوبات في عدم وجود دليل يدعم ادعائهم المضاد - وهو أن تدمير الدولة الاستبدادية سيحسن حقوق الإنسان - ويمكن لخصومهم الإشارة إلى الفوضى الدموية التي أحدها تغيير النظام في العراق ولبيبا. اقترح صانعو السياسة الأمريكيون أن الأسد وداعميه سيتبذلون طواعية طريق الأمم المتحدة إلى الأمام ، معتمدين "مجموعة جديدة تماماً من السلوكيات" من أجل "الخروج من هذه العقوبات". لكن الفكر القائلة بأن الأسد سيقبل بحرية خطة الأمم المتحدة - التي تدعو إلى انتخابات نزيهة ، ووضع دستور جديد ، و "حكم ذي مصداقية و شاملة وغير طائفية" - منفصلة عن الواقع. عملياً، القيام بذلك سيعني الإطاحة بالأسد ، وهو يعرف ذلك. لقد انتصر الأسد وأنصاره في الحرب الأهلية في البلاد رغم احتمالات كبيرة. لم يتصدعوا عندما ذبح المتمردون فريق الأمن القومي بأكمله في وقت مبكر من الحرب.

لم يتصدعوا عندما فدوا تدمر أو إدلب أو نصف حلب أو حقول النفط أو الشمال الشرقي أو الجنوب الشرقي ؛ لقد تجاهلوا حملة قصف ترامب التي استمرت 60 ثانية. وصمدوا أمام جهد أمريكي نشط لتجهيز وتدريب المعارضة المسلحة. إذا لم تهزم تسع سنوات من العنف الوحشي الذي أودى بحياة حوالي 100000 علوي - واحد من كل 25 - الأسد وجيشه ، فمن غير المرجح أن تزعجه الحصار الاقتصادي. الحقيقة أن العقوبات لن تتحقق العدالة للأسد ولا رحمة للشعب السوري. قادت الولايات المتحدة ذات مرة نظاماً ليبراليًا دولياً قائماً على الاقتتال بأن التجارة الحرة والطبقة الوسطى الحيوية ستنتج حكماً ديمقراطياً ورفاهية مجتمعية.

اليوم ، تحاول إدارة ترامب إقناع العالم بالعكس - أن الإفقار وتقييد التجارة سيجلب الحرية والتقدم. كلما أعادت الولايات المتحدة النظر في سياستها العقابية تجاه سوريا ، كلما أسرعت في تقديم مساهمة إيجابية في التنمية الإقليمية. من المرجح أن يوافق الأسد على تنازلات كبيرة من أجل الخروج من العقوبات ، لكن التحدي ليس من بينها.



الديمقراطية والإرهاب

جمال عامر

تأتي قيمة الديمقراطية من الحاجة الملحة والاستراتيجية لبناء مجتمع منظم يقود سفينته في الاتجاه الصحيح فالديمقراطية تحصر رموز الفساد والإخلال بالقانون وتطبيق سيادة القانون ويصبح للقانون رهبة عند الجميع - المشرعين - الدولة - بقية أفراد الشعب.

سأتحدث عن الديمقراطية ليس من موقع تعليمي بل عبر طرح بذور حلول لمشاكل يعانيها مجتمعنا مع بعض الاختصار لأن ما أكتبه مقالة وليس دراسة لكن مقالة علمية تستند على المنهج العلمي وعلى مجموع الملاحظات العلمية للعلوم الاجتماعية.

الديمقراطية حكم الشعب وسيادة القانون ، هي المناخ الملائم لممارسة أوسع مجال من الرقابة الديمقراطية على مؤسسات الدولة ومراقبة المجتمع بتiarاته السياسية والنقابية والعلمية وغيرها لتجربة النهائى ليضع الاستراتيجية الضرورية للوصول لأهداف معينة منها التنمية وحصر رموز الفساد وتحقيق رهبة القانون والقضاء على الإرهاب العابر للحدود وفصل السلطات، فمن خلال الرقابة الديمقراطية الشعبية وأصدار الصحف والمجلات وحرية المظاهرات وتشكيل الأحزاب وحرية الاجتماعات كلها تساهم في حصر الفساد وتنمية المجتمع ووسيلة لزوال الاقطاع السياسي والاقتصادي والديني والقضاء على جذور الإرهاب الفكري والسياسي حيث تبين التجارب أن الإرهاب جاء من بنيات اجتماعية متفرقة وتعانى من فشل مشاريع التنمية والديمقراطية وسيادة القانون وتضخم الفساد والأزمات الاقتصادية الخانقة، فالممارسة الديمقراطية تنتج مجتمع مدنى ديمقراطي سيد نفسه يفسح المجال للابداع والنقاش والنقد والبحث والاستقراء والقياس للوصول للأهداف المحددة.

تأتي ضرورات الديمقراطية ليس فقط في اقتلاع جذور الإرهاب وارهاب الدولة وحصر الفساد وتنمية المجتمع ودمقرطة مؤسساته جمعياً بل في إنجاز المهام الوطنية والقومية من تحرير الأرضي المغتصبة ودعم نضال الشعب الفلسطيني والتصدي لانحلال العدمي تجاه المسؤولية الوطنية وتعزيز الروح القومية العربية لتحقيق الوحدة العربية المنشودة كونها طريق لا بد منه من أجل إنجاز المهام القومية الديمقراطية وتحقيق الاستقلال وفك التبعية لشركات متعددة الجنسية والدول الإمبريالية وهذا يتعزز عندما يرى المواطن نفسه في موقع المسؤول والباحث عن الحلول والناقد والكاتب والجندي الأول.

فقط عندما تتحقق رهبة القانون وعدم تجاوزه واستغلال الثغرات به ولا سلطة بعد سلطة القانون الديمقراطي وفصل الدين عن الدولة وإنجاز التحرر الوطني والقومي بالاقتصاد والسياسة والاجتماع يتحقق المجتمع الديمقراطي المدني المتجاوز لكل العلاقات ما قبل الوطنية والقومية فقط من خلال أداة الرقابة الديمقراطية والمساءلة الشفافة والمتابعة لكل القوى السياسية والمهنية.



العراق وسوريا يبيبان أهمية احراق الديمقراطية في العادات والتقاليد وتكون الشخصية ونمو المسؤولية المواطنية، فقد بين مثال العراق تراكم التغرات وقد كانت ممارسة الديكتاتورية طريق سهل للاحتلال الخارجي فلم يؤمن الحكم الديكتاتوري بنية اجتماعية متماضكة للتصدي ومجابهه لأي عداون واحتلال خارجيين وتبيّن التجربة السورية ومسار الأزمة السورية من الاحتلال وتدخلات خارجية أهمية تدعيم الوضع الداخلي لمواجهة الاستحقاقات الخارجية الوطنية والقومية والدولية ولا سبيل لإزالة خطر الاحتلال الخارجي من غير طريق تحقيق البرنامج الديمقراطي الذي هو النقطة المشتركة بين غالبية قوى المعارضة السورية وقوى المجتمع المدني.

هل يقترب العالم من حرب باردة بين الصين والولايات المتحدة؟

محمد سيد رصاص

جريدة "الأخبار" ٢٠٢٠\٩\٩

في يوم 23 أيار/مايو 2020 أعلن وزير خارجية الصين وانغ يي بأن "الصين والولايات المتحدة تقتربان من حرب باردة جديدة". في يوم 24 حزيران/يونيو 2020 قال روبرت أوبراين، مستشار الأمن القومي الأميركي، بأن "الولايات المتحدة يقظة تجاه التهديد الذي يفرضه الحزب الشيوعي الصيني لنطمنا في الحياة.. وهي تعمل على وقف انتشار أيديولوجية الحزب الشيوعي الصيني.. كنا ساذجين لمافكروا بأن تحول الصين إلى دولة أغنى وأقوى سيدفع الحزب الشيوعي إلى التبرل لملaqueة الآمال الديمقراطية للشعب الصيني.. أيام السلبية والسوداوية الأميركية تجاه الصين قد انتهت".

كان مفاجئاً تصريح الوزير الصيني، وهو يشبه، ربما، خطاب وينستون تشرشل في آذار/مارس 1946 في كلية ويستمنستر، بمدينة فولتون بولاية ميسوري الأمريكية، عندما تكلم عن "ستار حديدي يمتد بين بحر البلطيق والأدرياتيك" يقسم من خلاله ستالين شرق أوروبا عن غربها! لم تكن الحرب الباردة قد بدأت بعد وكانت أفكار السلام العالمي مازالت تحوم في الأفق مع تأسيس الأمم المتحدة ومع استمرار تماسك الحلفاء (الأميركيان-السوفيات-البريطانيون) الذين هزموا الألمان واليابانيين لأشهر خلت من عام 1945. أشعر تشرشل الغربيين بشعيرية رهبة الحرب القادمة في وسط أجواء التفاؤل بالسلام، تماماً كما فعل في أيلول/سبتمبر 1938 عندما عرض اتفاقية ميونيخ بين رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشرشل وبين أدولف هتلر، التي غضت البصر فيها بريطانية عن ابتلاع الألمان لتشيكوسلوفاكية في الحالتين تتباين تشرشل بنشوب الحرب بعد عام من تصريحه، وفي الحالتين نشب الحرب العالمية الثانية في أيلول/سبتمبر 1939 والحرب الباردة في آذار/مارس 1947 مع طرح "مبدأ ترومان" الذي قال بمساعدة الولايات المتحدة للدول التي تتعرض لتهديدات خارجية أو تمردات مسلحة في ظرف كانت الحرب الأهلية اليونانية مشتعلة بين الشيوعيين والملكيين. الملفت، هنا، في تصريح مستشار الأمن القومي



الأميركي هو تركيزه على الحزب الشيوعي الصيني وعلى أيديولوجيته، كما تحدثه عن "سذاجة" أميركية في مساعدة الصين تكنولوجياً واقتصادياً، لما كان طرح خطة الاصلاح الاقتصادي الصيني (كانون أول ديسمبر 1978) متزامناً بدء تطبيقها بالشهر التالي مع زيارة الزعيم الصيني (دينغ سياو بينغ) لواشنطن في شهر تلاقت الصين والولايات المتحدة ضد الغزو الفيتنامي لكمبوديا وفي شهر سبق بشهر الحرب الصينية مع الفيتناميين المدعومين من السوفيات. كان اليمين الأميركي ومنه ريتشارد نيكسون نائب الرئيس دوايت أيزنهاور في الخمسينيات يرى الصين الشيوعية أخطر من الاتحاد السوفيaticي الذي اتجه لسياسة التعايش السلمي منذ نيكيتا خروتشوف الذي اختلف معه ماوتسى تونغ عام 1960 حول ذلك ، ولكن عندما استلم نيكسون الرئاسة عام 1969 نصحه مستشاره للأمن القومي هنري كيسنجر بالقارب مع الصين للضغط على الكرملين من أجل موضوع معاهدة (سالت 1) لتحديد متبادل ثانوي للسلاح الاستراتيجي ومن أجل الضغط على الفيتناميين من أجل جلبهم لمائدة المفاوضات. أتت زيارة كيسنجر السورية للصين (تموز 1971) ثم زيارة نيكسون (شباط 1972) في إطار ذلك. تابع الرئيس جيمي كارتر عامي 1979 و 1980 ذلك التقارب مع الصين في ظل ازدياد الهجومية السوفيaticية التي برزت مع غزو أفغانستان من قبل الكرملين (27 كانون أول 1979) وازداد هذا في زمن رونالد ريغان. فايض دينغ سياو بينغ تأييد الأميركي كان ضد السوفيات في السياسة بمكاسب في التكنولوجيا الغربية التي افتتحت أبوابها أمام الصينيين وبمكاسب في الاقتصاد، في وقت بدأ تطبيق (اقتصاد السوق) في الريف الصيني عام 1987 ثم في عام 1980 افتتحت الصين أمام الرأسمال الأجنبي وبدأت في تطبيق الرأسمالية الداخلية بقيادة الحزب الشيوعي مع احتفاظ (قطاع الدولة في الاقتصاد) بأقسام استراتيجية (سيطرة البنك المركزي على عملية تحديد قيمة العملة- الصناعات العسكرية- الهادي تكنيك.. إلخ). كان رأي الشيوعيين الصينيين مثل رأي كارل ماركس وبخلاف لينين وماوتسى تونغ، بأنه لا يمكن الدخول في الاشتراكية قبل مختلف قبل استفاد كامل مراحل التطور الرأسمالي. الصين انتقلت خلال ثلاثين عاماً من بلد مختلف اقتصادياً لكي تكون القوة الاقتصادية العالمية الثانية عام 2010 بعد الولايات المتحدة.

يلفت النظر، هنا، توحد باراك أوباما ودونالد ترامب، رغم خلافاتهما الأيديولوجية والسياسية العميقة، في رؤية الخطر الصيني. كان رأي المحافظين الجدد في زمن بوش الإبن بأن النمو الرأسمالي الصيني سيقود للبرالية في الاقتصاد، وأن التعددية في الاقتصاد ستقوض الوحدوية السياسية للحزب الشيوعي، وتقود إلى الديمقراطية التعددية. على الأرجح هذا مانعه أوباما بـ "السذاجة الأمريكية". من خلال ذلك جاءت الموافقة الأمريكية على دخول الصين في منظمة التجارة العالمية عام 2001. كان انفتاح دينغ سياو بينغ الاقتصادي مرتبطاً مع تشدد السياسي، وهذا ما ظهره ب يوم 3 حزيران/يونيو 1989 عندما أنزل الدبابات وسحق اعتصام الطلاب المطالبين بالعدمية السياسية في ساحة (تيان آن مين). على الأرجح كان واعياً لمخاطر بيريسترويكا صينية ولو جود محتمل لغورباتشيف صيني متمثلاً في أمين عام الحزب الشيوعي (زهاو زيانغ) الذي أسقط من منصبه بعد قليل من ماجر في (تيان آن مين). يمكن، وهذا الأرجح أن الأميركي لم يعوا تفكير (دينغ)، ولم يعوا بأنه يعرف عبارة فريدريك إنجلز: "الخسارة هي مصير أية حكومة تسمح لحركة معادية تتطلع إلى اسقاطها بالعمل في إطار القوانين"، وهي عبارة



قالها إنجاز عام 1890 عندما ألغى القيصر الألماني قانون حظر الاشتراكيين الذي أصدره بسمارك في عام 1878.

ولكن الآن يطرح السؤال نفسه بقوة: هل تملك الصين مقومات الاتحاد السوفياتي عام 1947 الذي تكون أحد طرف في حرب باردة مع الولايات المتحدة؟ قبل الإجابة على السؤال، من الواضح أن هناك رغبة أميركية في النزال مع الصين، كما يبدو من كلام أوبراين، ومن تصريحات عديدة للرئيس ترامب وللوزير بومبيو. هناك وعي أمريكي بأن التهديد الوحيد لوضعية القطب الأميركي الواحد للعالم، والقائمة منذ عام 1989 مع هزيمة السوفيات في الحرب الباردة، هو التهديد الصيني. هذا كاف لوحده لكي يشعل حرباً باردة. في الحرب الباردة بين الأميركيان والسوفيات عندما لم تستخدم المواجهة المباشرة عسكرياً (رغم الاقتراب من حافة ذلك ب عامي 1962 و 1973) كان هناك مشاريع أيديولوجية متضادة وحروب عسكرية بالوكالة واستقطابات دولية وأقليمية متضادة وحروب اقتصادية وتكنولوجية. تملك الصين مقومات الدخول في نزال الحرب الباردة من خلال كونها عملاً اقتصادياً يقترب من العملاقة العسكرية مع تضاعف الإنفاق العسكري الصيني لعشر مرات بين عامي 2009 و 2019. تقوم الصين باستقطابات دولية عبر شراكات اقتصادية طويلة المدى مع روسيا وإيران، وتستأجر مراقباً لعشرين السنوات في باكستان وميانمار من أجل تقادي المرور بمضيق مالاقا الرابط بين المحيطين الهندي والهادئ الذي يسيطر عليه الأميركيان عند سنغافورة ، وتنغلق الصين في إفريقيا عبر مشاريع اقتصادية مع عملاق إقليمي اسمه إثيوبياً مع مؤشرات قدمتها شركة (هواوي) واضحة أن الصين تتقدم كثيراً في الهادي - تكينيك. تملك الصين مقومات العملاء الاقتصاديين الطامحين للعملقة العسكرية- السياسية عبر دور عالمي، كما كانت ألمانية في فترة 1871-1890 قبل أن تكتسح عن أنيابها وتقود العالم إلى حربين عالميتين. على ما يبدو، الآن، لم تعد واسطنطن في وضعية لندن لماطمانة إلى سياسة بسمارك (مستشار ألمانية ال موحدة 1871-1890) غير الصدامية مع البريطانيين، من خلال رؤيته المتمثلة في عبارته: "ألمانية وحش بري، وبريطانية وحش بري، ويجب أن لا يتصادماً" ، وهي عبارة دفع ثمن تجاهلها ألمان الحربين العالميتين.

يمكن لذلك أن يؤهل الصين للنزال ولكن التوازن يقول بكتفة تمثل للأميركان: تملك واسطنطن أيديولوجية واضحة، وهو مالاتملكه الصين، فيما كان ستالين يملك ذلك عام 1947. هناك تفوق علمي-تقنيولوجي الأميركي بأشواط أمام الصين، مع تفوق عسكري واقتصادي. حسب "مصلحة الأبحاث في الكونغرس الأميركي" ، بدراسة عن "تأثيرات كوفيد-19 في الاقتصاد العالمي" (26 آذار 2020) يمثل الدولار الأميركي 88% من حجم التداول النقدي العالمي لدى دول العالم وتلذّ موجّدات النقد للبنوك المركزية العالمية ونصف موجودات النقد الأجنبي في البنوك غير الأميركيّة وهو يمثّل ثلثي المستجلبات النقدية من البنوك والمحافظ النقدية من قبل الشركات الصناعية غير الأميركيّة. هناك عيوب بنوية في الاقتصاد الصيني: 41,7% من الصادرات الصينية عام 2018 هي لشركات أجنبية مسجلة في الصين، وكذلك 43,7% من واردات الصين هي لصالح هذه الشركات ("الصعود الاقتصادي الصيني" ، دراسة في "مصلحة أبحاث الكونغرس الأميركي" ، 25 حزيران 2019). معظم الشركات الأجنبية وأقرّاها في الصين هي أميركية، وحتى العجز التجاري الأميركي مع الصين ناتج بمعظمها عن منتوجات تنتجهما هذه



الشركات الأمريكية بالصين ثم تصدر لأميركا. يأتي نزعة ترامب نحو "القومية الاقتصادية" من أجل جلب تلك الشركات الأمريكية للداخل الأميركي.

كتأثير: الصين تملك من خلال الاقتصاد، الذي يحدد هو وليس السلاح النووي من هي الدولة العظمى أو الكبرى، مقومات منافسة (القطب الأميركي الواحد للعالم). هي في وضعية فرنسة أمم انكلترا بين عامي 1815 و 1890 حتى هزيمة نابليون بونابرت في واترلو، وفي وضعية ألمانية أمام انكلترا بين عامي 1890 و 1945. فلا يميز بوتين لا يملك الآن هذه الوضعية أمام الأميركيان الذين مازوا حتى الآن القطب الواحد للعالم منذ هزيمة السوفيات بالحرب الباردة عام 1989.

من زوابيا الذاكرة (1953-1958)

الدكتور جون نسطة

من منطلق أن فرقتنا الحزبية من مجموعة طلاب، ومن مدرسة واحدة بدأنا بالعمل السياسي في صفوف الطلبة، ومع فرق طلابية شيوعية أخرى، نحرض على الإضرابات والخروج بمظاهرات تتدد بالحكم الدكتوري للأديب الشيشكلي. وكانت المظاهرات تمر على دكاكين الباعة في حي بستان الديوان بحمص أولاً وتطلب من الباعة الصغار إغلاق محلاتهم، وتتادي "سكر يا عرصا سكر"، فيضطرون لإغلاق محلاتهم لفترة مرور المظاهرات، ثم يعودون لفتحها مجدداً.

كانت المظاهرات تتجه نحو منتصف المدينة وأغلب الأحيان قبل وصولها لهدفها تتصدى لها الشرطة وأغلبها من الشرطة السرية أو السياسية بأinsié مدينة، وتحاول القبض على الطلبة، وكنا نفر من أمامهم وهم يلاحقوننا. أحياناً نستطيع الفرار وأحياناً لا ننجح.

كان يرأس هذه المجموعة من الشرطة رجل حمصي في منتصف العمر إسمه أبو شمسو، الذي يعرف كل عائلات المدينة. كانوا عندما يقابلونه على أحدنا يقودونه إلى فرع النظارة، وهناك كان نتلقى بعض الصفعات على وجهنا وأحياناً يضعوننا تحت الفلقة بعد خلع احذيتنا طبعاً، ويضربون بعصا غليظة على سطوح أقدامنا، وكان أبو شمسو إذا تعرف على أحدنا، يكتفي بالاتصال بآبائنا ليحضروا إلى النظارة لاستلامنا بعد الطلب منهم بأن يحسنوا تربيتنا ومنعنا بالعمل بالسياسة. طبعاً كانت اغلييتنا من الصبية الصغار من العمر.

أحب في هذا المجال أن أروي حادثة ظريفة جرت في حمص.

قام أديب الشيشكلي بإجراء انتخابات برلمانية، بعد أن أسس تنظيم سياسي سماه جبهة التحرير، وجرى البحث عن مرشحين في كل محافظة. في العادة كان أحد نواب مدينة حمص عن المسيحيين إسمه عبد



الله فركوح من الحزب الوطني يفوز دوماً في كل المجالس النيابية السابقة منذ عهد الاستقلال. ولأن الحزب الوطني وحزب الشعب والبعثي والشيوعي قاطعوا الانتخابات. فقد طلبت السلطة من محام له سمعة طيبة ولم يكن سياسياً واسمه فيليب فركوح ان يرشح نفسه ففعل. ومن الطبيعي ان ينجح وهو على قائمة السلطة، كما في كل عهود الاستبداد.

سمعنا ابن عمتي المهندس الشيوعي البارز محدث أبو خاطر (عليه الرحمة)، وانا، بأن أهالي هي الحميدية من المسيحيين، يرغبون بالذهاب إلى دار النائب الفائز بالانتخابات السيد فيليب فركوح بقصد تقديم التهاني.

وبما أن جدي لأبي وجد الاستاذ محدث لأمه، كان من وجهاء الحي،

توقعنا ان يذهب الموكب برئاسة جدي إلى التهنئة. فقمنا سوية محدث وأنا بزيارة جدنا ديب نسطه، وشرحنا له موقفنا من النظام الدكتاتوري ومن هذه الانتخابات المنسخة ومن نتائجها المزورة، ما أشبه البارحة بالأيام، ورجوناه أن يتمتع أن يشارك في وفد المهنئين. وكان يحبنا كثيراً فوعدنا خيراً.

وفي اليوم التالي تجمع أهل الحي واتجهوا إلى دكان جدي طالبين منه بالحاج ان يسير في مقدمتهم. فأصابه الخجل فطاو عهم. وعند وصولهم إلى فناء دار آل فركوح الواسع، الممتليء بالمهنيين، صاح جدي بصوته الجهوري ... يا فيليب جتنا إلى هنا لننهنك تهنئة شخصيه بس لك.... أخت الشيشكلي.

هاج الجمع وماج دون ان ينبع أحدهم بكلمة. وتبسم النائب ابتسامة لطيفة ودعاهم للجلوس وتناول القهوة كما جرت العادة. وخرج جدي إلى داره وهو مرتاح الضمير لأنّه أرضى أهل الحي وأرضانا، ابنة عمتي وأنا بنفس الوقت.

ديب نسطه كان رجلاً أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، عمل في شبابه، كما أغلبية أهل مدينة حمص بصناعة النسيج لكنه كان مختصاً بتزيين الكوفيات السوداء من الحرير بخيوط من الذهب بواسطة مكوك صغير جداً وكان يستغرق عمله على كوفية واحدة أسبوعاً كاملاً ويأخذ أجراً ملحوظاً ليرة ذهبية كاملة، لندرة الصناع من هذا الإختصاص. ثم هاجر إلى الأرجنتين لعند إثنان من إخوته، حاملاً معه على الباخرة كميات كبيرة من العرق الذي كان مولعاً بتعاطيه... ولم يطب له البقاء هناك طويلاً فعاد إلى حمص. ثم بعد فترة، قرر السفر إلى المكسيك حيث يقيم ويعمل ثلاثة من أولاده منهم أبي، وثلاثة من إخوته. ومع ذلك لم يطب له البقاء هناك طويلاً بحجة أن بلداً ليس فيه عرق وأر أكيل تتباك ليس صالحًا للحياة.

وعاد ومعه ثروة بدها بسرعةٍ واضطر لفتح دكان أو حانوت يشاركه فيه أحد معارفه من يجيدون الكتابة والقراءة.

ديب نسطه كان رجلاً مربوع القامة لا طولها ولا قصیرها يجيد رياضة السيف والترس، كان متتفوقاً بها، يشارك في حفلات المبارزة التي كانت تجري علينا في العديد من المحافظات في سوريا



ولبنان. وكان المنتصر يجرح خصمه جرحاً سطحياً بسيطاً، غالباً على وجهه لكي تنتهي المبارزة. وظل وجهه وجبينه دائماً بدون آية خدشة سالماً.

كان رجلاً جميل المحيَا، عينان زرقاء تان يشعان كالصبح في الظلام، وتحتَّهما شاربان أبيضان ضخمان مفتوحان، يليس القنطر من الجوخ الانكليزي في الشتاء، والصاي الحرير في الصيف، ويترنر بشال عجمي بألوان جميلة، ويحتذى غالباً حذاءً من الجلد اللامع.

كان، وإن أطلت عليكم، رجالاً شجاعاً مهاباً، كريماً، وودداً. مرتفعاً لنفسه ينام صيفاً وشتاءً في فراشه عاريأً، ويستيقظ باكراً ليذهب إلى البئر في وسط داره ليغتسل بالماء البارد، متوجهاً إلى بائع المغطوطة، هي فطور يعرفه القدامى من أهل حمص جميعاً، أو إلى بائع الفطائر أو الشعيبيات لتناول فطوره ومن ثم إلى دكانه.

في نهاية شهر شباط (فبراير) من العام ١٩٥٤ قام ضباطاً من الجيش السوري في موقع حلب وحماء وحمص على ما ذكر بعصيان او انقلاب على أديب الشيشكلي، طالبين منه التحيي، فخرجنا جموعاً كبيرة من الطلاب والاهالي إلى وسط المدينة وفيه موقع قيادةِ الجيش، لتأييد العصيان تملئنا الفرحة والأمل، منشدين الأناشيد الوطنية والقومية والnazionale.

لم يمضِ يوم او يومان على ما ذكر، حتى أذاع أديب الشيشكلي بياناً من إذاعة دمشق يعلن فيه حرصه على دماء السوريين وخوفه من حرب أخوة السلاح، معنا استقالته من رئاسة الجمهورية، وعزمه على مغادرة البلاد.

قام بالعصيان ضباطاً أغلبهم من البعثيين وعلى رأسهم في حلب مصطفى حمدون.

عمت البلاد فرحة كبيرة لا تضاهيها فرحة وخرجت الجموع من جماهير واسعة من العمال والفلاحين وأهل المدن بكافة تلاؤنهم المهني وتولى رئاسة الوزارة محام معروف بالوطنية والنزاهة هو سعيد الغزي أعلن عن إجراء عملية انتخابات نيابية في شهر أيلول من نفس العام.

بدأ حزبنا الشيوعي يستعد لخوض المعركة الانتخابية المقبلة، وذلك بالإتصال بالرفاق الذين توافقوا عن النشاط السياسي، بسبب الدكتاتوريات المتعاقبة المسيطرة على الحكم، بدءاً بانقلاب حسني الزعيم في آذار ١٩٤٩ ثم سامي الحناوي وبعده الشيشكلي، التي نشرت الخوف والرعب بين الناس. وكذلك الإتصال بأصدقاء الحزب وأقيمت العلاقات المستجدة معهم. وكذلك أعادت بناء المنظمات الحزبية التي خرجت إلى العلنية بعد فترات العمل السري الطويلة.

وكان علينا نحن الطلبة ان ننظم، أيضاً، في فرق حزبية في أحياط السكن أو أماكن تواجدنا اليومي. وهكذا انتظمت في فرقة حزبية في حي بستان الديوان أذكر بعض رفاقها منهم العامل في معمل سكر حمص زكي أبو فريوة، رجلاً مقداماً ينبع بالنشاط والحيوية، والرفيق اسبر بيطار، واللياس غالى يعمل



بالكهرباء، وغيرهم. وانضمت أيضاً بفرقة في حي المحطة حيث كنا نسكن. وكان معنا على ما ذكر الرفيق أكرم دلاور وشقيقه الأصغر أسعد أولاد الدكتور المشهور زكي دلاور وآخرين. وفي هذه الفرقة كان يشرف علينا ويعلمنا النظرية والممارسة رفيقنا الكبير ظهير عبد الصمد.

وأذكر بأن الحزب رشح إثنان من كوادره البارزين في حمص هما مورييس صليبي وظهير عبد الصمد باسم مرشحي الجبهة الوطنية. وقامت كل منظمات الحزب بالعمل الدعائي لصالح المرشحين، وتنظيم العروضات والتجمعات في كافة أحياء المدينة للتعریف بمناقب الرفيقين النضالية والأخلاقية، وأذكر خروجنا بعرضة من حي الحميدية اخترقت وسط المدينة وأسواقها المختلفة، فاصدرين حي المحطة، حيث يقع منزل الرفيق المحامي مورييس صليبي.

وكان كالعادة يقوم الرفيق نظير بطيخ الشاعر الزجي والمنشد ذاتع الصيت محمولاً على الاكتاف بنظام بعض الشعارات. وفي هذه العروضة أنشد يقول "تهنى بالشعب الفقير، رشحنا محمد ظهير". لما وصلنا إلى الهدف قام الرفيق مورييس صليبي من على شرفة بيته بإلقاء كلمة عرض فيها لأهداف الحزب في توطيد أركان الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ومناصرة مطالب العمال والفلاحين وإقامة جبهة وطنية في وجه القوى الرجعية والاقطاعية.

وفي العاصمة دمشق قام الحزب بترشيح ثلاثة أسماء هم خالد بقداش، وجورج عويسق، ونصوح الغفري. وفي محافظة حلب تقدم الرفيق أحمد محفل قائمة المرشحين، وفي محافظة الحسكة تم ترشيح إبراهيم بكري والشاعر الكردي جكر خوين ورفيق كردي آخر نسيت اسمه. وفي اللاذقية وطرطوس كان لنا مرشحين نسيت اسمائهم.

في حلب حصل الرفيق أحمد محفل على نسبة عالية من الأصوات ولكنه لم ينجح مثله مثل كافة المرشحين، ما عدا الرفيق خالد بقداش، الذي جاء ناجحه في المرتبة الثانية بعد الزعيم الدمشقي خالد العظم.

كان لنجاح خالد بقداش في الانتخابات التزوية السورية في أيلول من العام 1954 أصداء عالمية واقليمية وداخلية كبيرة. كان النائب الشيوعي الأول في العالم العربي.

وعمت الفرحة والفاخر كل الأوساط التقنية في سوريا ولبنان والأردن وحتى في العراق.

كنت وقتها في الصف الثامن اعدادي أذهب إلى المدرسة في النادر، وهذا ممکن في المدارس الخاصة، وخصوصاً مع وجود الأستاذ نعمان، وهو أستاذ متلاحد مسن، كانت مهمته من قبل إدارة المدرسة تسجيل أسماء المتغيبين من الطلاب، والذهاب إلى أهاليهم يعلمهم بذلك ويسأله عن أسباب التغيب، كما مع الأسف نرشي الأستاذ نعمان فيغض النظر عن قيامه بواجبه.



كنت بالمقابل مواطناً على قراءة الكتب منهم عجيب. فقد قمت بقراءة جل الأدب الروسي والسوفيتى من تولستوي، دستويفسكي، غوغول، تشيشوف إلى مكسيم غوركى، وبقية روایات الحرب العالمية الثانية البطولية في مقاومة الغزاة الألمان ومن أهمها رواية "بالحديد سفيناه".

ثم بدأت بقراءة الكتب العربية وعلى رأسها كتب المثقف التتويرى الكبير سلامه موسى الذى تأثرت به كثيراً والشيخ الأحمر خالد محمد خالد وكتاب في الثقافة المصرية لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنبيس. ثم انتقلت إلى قراءة لا بل دراسة الكتب الفرنسية المترجمة حول الفلسفة الماركسية، ومن أهمها كتاب لجورج بوليتزر "أصول الفلسفة الماركسية"، وكتاب الفلسفة الماركسية لهنرى لوفيفير، ولروجيه غارودى قبل أن يرتد عن الماركسية مقلباً على أموال القذافي وال سعودية متخلصاً من فقره وعوزه في الحزب الشيوعي الفرنسي.

كان هذا يتطلب مني أن أسهر الليل بكمله وبالتالي عدم الذهاب إلى المدرسة إلا قليلاً وفي اليوم الذي تكون فيه في قيادة المنظمة الحزبية قد قررنا الخروج بمظاهرة بغض النظر عن المناسبة الآن كان كل طلاب المدرسة عند رؤيتي، يعلمون فوراً بأن اليوم وبعد فرصة الساعة العاشرة ستخرج مظاهرة من المدرسة.

وبالمناسبة كان أغلب أساتذة صفي مرتحلون لغيبى، لأننى، مع الأسف، ومن باب النقد الذاتي الآن، كنت طالباً مشاغلاً معاكساً، صاحب نكات، مقاطعاً، يصعب عليهم تلاوة الدرس بوجودي. وكان هذا ينعكس على علاماتي المتندبة، مما دفع أهلى إلى قرار بأن يدخلونى إلى مدرسة داخلية في دمشق لدراسة الصف التاسع وفيه شهادة الكفاءة (البروفيه) الهمامة. أدخلونى إلى مدرسة الروم الكاثوليك في حارة الزيتون في حي القصاع في دمشق والمعروفة بالمدرسة البطريركية.

كان يرأس هذه المدرسة راهب اسمه الأب هبة والناظر فيها راهب اسمه ابونا صارجي، وهو رجل في أو اخر السنتين من العمر، من القساة الحازمين، شديد العقوبة مهاب الجانب، عملية الصفع وشد الشعر تتم لأنّه مخالفات الطلاب عنده.

في هذه المدرسة يسود نظاماً حديدياً بكل معنى الكلمة وخصوصاً في القسم الداخلي. كان علينا النوم في مهاجع في وقت مبكر ومعين تطفئ الكهرباء به ونمنع من الكلام حتى الصباح، ويوقفنا جرس عالي لذهب إلى المغاسل بإشراف أحد الرهبان ثم إلى اللباس بتواتر سريع والكلام به من نوع ثم إلى المذاكرة الصباحية ثم إلى الدرس الديني المسيحي، وغير المسيحيين من الطلاب، لا يفرض عليهم حضوره، ومن ثم في طابور إلى المطعم لتناول الفطور على مقاعد وطاولات خشبية قرعاء، نظر واقفين فيها إلى أن يقرع الجرس، بعد الأكل مع الصمت يقرع الراهب جرساً يسمح بعده الكلام مع صلاة الشكر. ثم نخرج إلى باحة المدرسة بطابور صامت أيضاً، وبعد فرصة ربع ساعة ندخل إلى صفوف المدرسة مع الطلبة الخارجيين. في فرصة الغذاء كان يجري الأمر كما في الصباح، ونسبيت أن ذكر بأن بدء الطعام يجري بعد قرع الجرس والانتهاء منه بعد الجرس، شبع الواحد منا أم لم يشع.



في وجة العشاء كان يجري أمر مميز، حيث يتلو أحد الطلاب، بعد الطعام، في كتاب بالصوت العالي من روائع الروايات الأدبية، مثل قصة مدینتين لشارلز ديكنز أو من رواية المؤسأء لفيكتور هوغو. وكان ذلك ذو فائدة كبيرة بالنسبة لنا.

من هذه المدرسة طرحت مرات عديدة لأسباب سياسية ودينية وكنت اعود بنفس اليوم ببعض الحنكة والدهاء بالذهاب إلى البطريرك متحجاً بأن الرهبان يضطهدونني لأنني من الطائفة الأرثوذكسية، مما يجعله يتدخل لمصلحتي طبعاً.

لم يكن يسمح لنا بمغادرة المدرسة إلا في يوم الأحد فقط، كنت استغله للذهاب بزيارة إلى ابن بليدي ورفقي هنا عبود، الذي كان موظفاً في وزارة المالية ويدرس الأدب العربي في الجامعة. هذا الرجل كان على ذكاء مذهل واجتهاد مضني. كان عندما أزوره منشغلًا بالرسم الزيتني لصورة كارل ماركس، وعندما يرتاح يبدأ معي في القراءة من كتاب "رأس المال"، وبعدها يذكر معي في دروسه المدرسية وخصوصاً في مادة قواعد اللغة. لقد تعلمت منه الكثير الكثير مما يخدمني إلى الآن.

هنا عبود يعتبر الآن من أهم نقاد الأدب وله أكثر من 32 كتاباً في التأليف وخمسين كتاباً مترجماً.

الخلاصة في هذه المدرسة نلت شهادة الكفاءة وعدت إلى حمص مجدداً. وعندما ذهبت في شهر أيلول إلى مدير المدرسة الاستاذ ندرة اليازجي لتسجيل نفسي في الصف العاشر لم يصدقني بأنني نجحت في فحص الكفاءة، حتى اضطررت لحضور الجريدة وفيها اسمى من الناجحين منطلقاً ومعتمداً في ذلك إلى نتائجي في الصف الثامن.

في هذه المدرسة نلت شهادة الكفاءة وتعلمت الانظام والانضباط الزمني والنظام الحديدي ودقة المواعيد. ومن الأستاذ هنا عبود اللغة العربية الفصحى وأسلوب التفكير العلمي.

دخلت مدرستي القديمة مجدداً، وكأنني إنسان جديد طالب مجتهد منضبط مواظب على دروسه، ومن الأوائل في علاماته، وكان من أحب المواد إلى نفسي مادة التاريخ ومن أحب الأساتذة محمود السباعي، الذي كان يكلفني أحياناً بإلقاء الدروس أمام الطلاب بدلاً عنه، نظراً لثقته العلمية بي.

وعلى النطاق السياسي وجدت المدرسة تعج بالطلاب الشيوعيين أو لاً والبعثيين ثانياً. لم يكن للقوميين الاجتماعيين السوريين ولا للإخوان المسلمين أي تواجد.

كنا نخرج بتظاهرات حاشدة تنديداً بحلف بغداد وبمشروع النقطة الرابعة وتأييداً لعبد الناصر بعد قرار تأميم شركة قناة السويس. ونهرت من أجل إقامة الجبهة الوطنية، الأمر الذي يجعلنا نتعارك مع زملائنا البعثيين من أجله، فهم كانوا يعتبرونه شعاراً حزبياً شيوعاً بحتاً، في حين كنا نرى فيه شعاراً عاماً يدعوا إلى التحالف معهم ومع بقية الوطنيين الديمقراطيين، مما يدعوا للضحك الآن. كما أيضاً نهرت خارج السرب أيضاً: "عاش الحزب الشيوعي عاش بقيادة خالد بکاش"، فيرد البعثيون: "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة".



كنت أقرأ جريدة الحزب الشيوعي، أي جريدة النور يومياً، وعلى الأغلب الافتتاحية منها واقرأ جريدة الرأي العام لصاحبها احمد عسه ورئيس تحريرها التقدمي جبران كوريه.

وكنت، في هذه الفترة قد انتسبت وصديقي المزمن وإلى اليوم عون جبور إلى ناد فني ثقافي موسيقى يدعى دار الألحان حيث كان أخي الأكبر مني سنّاً، فيليب نسطه عضواً فيه يعزف على آلة موسيقية حديثة اسمها الماندولين. كنا عون وأنا وفيما بعد زميلنا الشيوعي أيضاً رامز غطاس نذهب يومياً مساءً إلى هناك ونستمع إلى البروفات الموسيقية والغنائية وتقوم بتدريبات مسرحية بإشراف الممثل والمخرج القدير الأستاذ محمود طليمات، إذ كنا نحن الثلاثة لا نتقن العزف، لذلك أصبحنا ممثليين.

هذا النادي ضم موسيقين وملحنين مهمين جداً ذكر منهم عبد الحميد طرابلسي. وبالمقابل هو شقيق عبد المجيد طرابلسي زعيم حركة الإخوان المسلمين في حمص (وزير الأوقاف بالثمانينيات)، والتاجر وعازف العود محمود الفاخوري وغيرهم. كنا نقيم حفلة فنية في كل شهر تقريباً تضم الموسيقى والغناء والمسرح.

وأذكر بأنني قمت بدور مهم في مسرحية البخلاء لفولتيه وبدور هارون الرشيد بمسرحية أخرى، والذي أدى دور أبو النواس الممثل المبدع الخارق ماهر عيون السود. وفي العودة إلى السياسة مرة أخرى كان من مميزات منظمتنا الحزبية في المدرسة أنها كانت منظمة خارقة للطوابق وتضم أعضاء من عائلات حمصية سنّية مرموقة. أتاسي ودروبي وبني وموصلي وسباعي وكلايلب الخ ومن جملة رفقاء واصدقائي المقربين ذكر محمد حسان الأتاسي حفيد الرئيس هاشم الأتاسي لأنه والده قاضي محكمة الجنائيات الأستاذ النزيه حسن الأتاسي، ونضال الأتاسي البشيعي علنياً والشيوعي سرياً. وتمام الموصلي. ومن الأصدقاء صبيح وعادل وتوفيق الأتاسي.

وأحب أن أذكر حادثة مهمة تدل على وطنيّة ووفاء للحزب من قبل حسان الأتاسي أطال الله من عمره. حيث كنا مرة في زيارة أحد أصدقائنا ودخل علينا جار له، لا أود ذكر إسمه، يعمل مهرباً بين بلغاريا وسوريا، له علاقات مشبوهة من أمرها، بمخابرات دولية. ولما سمع بوجود الرفيق حسان الأتاسي بيننا توجه إليه بالقول طمن والدتك بان شقيقها عدنان الأتاسي سيخرج قريباً من السجن.

كان عدنان الأتاسي ابن هاشم الأتاسي محكوماً عليه بالسجن المؤبد بحكم قاضي سوري لاشترائه في مؤامرة ستون الشهيرة على ما ذكر عام 1957 التي دبرتها واشنطن. ظننا نحن بأن المذكور لا ينطق عن هوئ، وإنما ربما هناك مؤامرة يخطط لها بالسر للقيام بالإطاحة بالنظام الوطني وإطلاق سراح عدنان الأتاسي ورفاقه. تداولنا بالأمر حسان وعون وأنا وقررنا الذهاب إلى الرفيق واصل فيصل مسؤول منطقة الحزب في حمص وإحاطته علما بالموضوع. طلب واصل فيصل من الرفيق حسان الأتاسي أن يذهب بنفسه إلى المدّعو عبد حكيم، جلد الشيوخ عيين في عهد الوحدة وقاتل أول شهيد شيوعي خلالها الرفيق الشهيد سعيد الدروبي، وآخباره بالقصة وعلمنا بعدها بأن المخابرات ألقت القبض على الرجل المشبوه المذكور سابقاً.

هذه الحادثة تدل على مدى وطنيّة وشيوعية حسان الأتاسي.



وذكر حادثة أخرى مهمة أخرى.

عندما علمنا بعودة الرفيق خالد بكمانش من موسكو برفقة وزير الدفاع الأستاذ خالد العظم بعد توقيع معاهدات دفاع وأسلحة مع الاتحاد السوفيتي، قرر الحزب اقامة استقبال شعبي في مطار المزة. فتوجت خمسة باصات من مدينة حمص ركابها كلهم شيوعيون واصدقاء لهم وكانت طبعاً من ضمنهم وصلنا دمشق وكانت الجموع تغنى: "هللت الشام وكانت (قالت) يا هلا بالزايرونا، ياهلا برفاك (برفاق) خالد والشيوعية أجمعينا".

بعد أن وصلنا إلى وسط المدينة وفي نقطة تجمع معينة صعد إلى الباص الذي كنت متواجد به، الرفيق موريس صليبي وطلب منا العودة إلى حمص فوراً. ولما سألنا محتاجين عن السبب، أجابنا بأن الحشود كبيرة جداً ولا ترغب قيادة الحزب بإخافة البرجوازية من تعاظم جماهيريته.

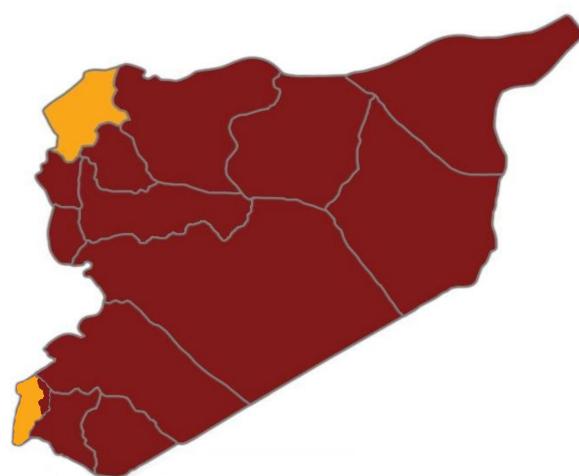
رجعنا فعلاً مكسورو الخاطر حزانى.

في طريق العودة كنا ننشد أناشيد وطنية وشيوعية. ومن ضمنها نشيد من كلمات وتلحين الأستاذ عبد الحميد الطرابلسى والذي مطلعه، بمناسبة حرب العدوان الثلاثي على مصر:

اعصفي يا مصر ريحأ صرصاراً يوم القتال ودعني الأهرام تشق سيوفاً وعواي

كانت مرحلة الأعوام 1954-1958 من أروع مراحل عمرى السياسية. وكانت سوريا واحة من واحات الديمقراطية، وبلد يشع على آسيا وأفريقيا والعالم الثالث.

ازدهرت الصحافة وانتعشت حريات النقابات وتأسست الجمعيات والنادي ومنظمات المجتمع المدني المختلفة وازدهر النشاط البرلماني وصدرت العديد من القوانين التقدمية. ولا زلت الى اليوم أقول: "أحلم بالعودة الى ذلك الزمان الجميل".



موقعنا على الإنترنت:

www.scppb.org

صفحتنا على الفيسبوك:

facebook.com/scppb.org

موقعنا على الحوار المتمدن:

www.ahewar.org/m.asp?i=9135